الهجرة وسؤال التعددية والهوية الدينية

دراسة سوسيولوجية

هشام بوقشوش

جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة

المغرب

الملخص

تتمحور الدراسة حول الهجرة وسؤال التعددية والهوية الدينية بمدينة تمارة، المهاجرون الأفارقة والسوريون أنموذجا، وذلك من خلال رصد الجوانب الثقافية والهوّياتية للمهاجرين المستقرين بالمغرب، وتلمّس حدود ما يمكن أن يحمله المهاجر معه من ثقافته وهويته الدينية، وقد أسفرت الدراسة على التأرجح بين اليسر والصعوبة التي يجدها المهاجر في الاعتقاد والممارسة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي، وعلى أن النوع الاجتماعي متغير فاعل في تدين المهاجرين واندماجهم، وأن تحقيق المهاجر للتجانس والتوافق في ظل تعدد الروافد الثقافية والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي، يواجه صعوبات منها ما هو ما معلن ومنها ما هو غير معلن. واستندت الدراسة إلى أطروحة كليفورد غيرتز حول تأويل الثقافات، واعتمدت المنهج الوصفي بالاستناد لآلية المقابلة لست حالات.

الكلمات المفاتيح: الهجرة – التعددية الدينية – الهوية الدينية – التجانس والتوافق.

Summary

The study focuses on immigration and the question of pluralism and religious identity in the city of Temara, African and Syrian immigrants as a model, by monitoring the cultural and identity aspects of immigrants settled in Morocco, and touching the limits of what immigrants can carry with them of their culture and religious identity. The study resulted in the fluctuation between the ease and the difficulty that the immigrant finds in belief and practice in the event of doctrinal or sectarian differences, and that the social gender is an effective variable in the religiosity of immigrants and their integration. And that the immigrant's achievement of homogeneity and harmony in light of the multiplicity of cultural tributaries and ethnic, religious, sectarian, and linguistic diversity faces difficulties, including what is declared and what is not declared. The study was based on Clifford Geertz's dissertation on the interpretation of cultures, and adopted the descriptive approach based on the interview mechanism of six cases.

Keywords: Immigration - religious pluralism - religious identity - homogeneity and compatibility.

تقديم

ينظر غيرتز إلى مفهوم الثقافة باعتبارها نمطا من المعاني المرموزة، إلا أنها ضمن مسارات الهجرة ينفرط عقد التوارث للمفهوم لأن الانزياح الجغرافي بدده، لتطغى على التعبيرات الرمزية غائية التواصل، وهو ما يجعل من تطور المعارف على هذا الأساس يتخذ صبغة الاتجاهات والمواقف، لتضحى الرمزية ذات حمولة معرفية يتم تضمينها معاني يتم تناقلها وتداولها، وإن كانت غير دالة دوما أو مفضية إلى لبس المعطى الثقافي، إنها تصبح في حالة التسامي الرمزي، قد لا يمكنّها دوما من أن تؤدي دورها كأنظمة رمزية خارجية. استنادا على ما تقدم كيف يمكن فهم تلمّس حدود ما يمكن أن يحمله المهاجر معه من ثقافته وهويته الدينية؟ وما التأويل الذي يمكن أن نتناول به الصعوبات التي يجدها المهاجر في الاعتقاد والممارسة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي؟ وهل من خصوصية يصطبغ بها النوع الاجتماعي في تدين المهاجرين واندماجهم؟ وإلى أي حد حقق المهاجر التجانس والتوافق في ظل تعدد الروافد الثقافية والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي؟ وكيف يمكن توطين هذه الصعوبات بين ما هو معلن وما هو غير معلن استنادا لأطروحة كليفورد غيرتز في تأويل الثقافات؟

موضوع الدراسة

تتناول الدراسة الهجرة وسؤال التعددية والهوية الدينية بمدينة تمارة، المهاجرون الأفارقة والسوريون أنموذجا، وذلك من خلال رصد الجوانب الثقافية والهوّياتية للمهاجرين المستقرين بالمغرب، وتلمّس حدود ما يمكن أن يحمله المهاجر معه من ثقافته وهويته الدينية.

حدود الدراسة

- ✓ الحدود المكانية: أجريت الدراسة بمدينة تمارة
- ✓ الحدود الزمانية: الفترة الممتدة من شهر دجنبر2022 إلى غاية شهر فبراير2023
- ✓ الحدود البشرية: أجريت هذه الدراسة الميدانية على عينة قصدية (غرضية)، شملت ست حالات لمهاجرين من سوريا وإفريقيا.

تساؤلات الدراسة

تساؤلات ترصد الجوانب الثقافية والهوّياتية للمهاجرين المستقرين بالمغرب، وتلمّس حدود ما يمكن أن يحمله المهاجر معه من ثقافته وهويته الدينية وصعوبات التي تمس مسألتي الاعتقاد والممارسة خاصة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي المعلن منها وغير المعلن، وهل أن النوع الاجتماعي متغير فاعل في تدين المهاجرين واندماجهم، ومدى تحقيق المهاجر للتجانس والتوافق في ظل تعدد الروافد الثقافي والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي.

منهجية الدراسة وعينتها وتقنياتها

تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي بالاستناد على تقنيتي الملاحظة والمقابلة الموجهة مع ستة من المهاجرين ينحدر ثلاث منهم من سوريا وثلاث من إفريقيا، اختلفت سياقات إجرائها ما بين فضاءات المراكز الداعمة للمهاجرين والبيوت أو الفضاءات العامة، وبوعاء زمني ساعتين لكل مستجوب (ة)، بالاستناد السوسيولوجي إلى أطروحة كليفورد غيرتز حول تأويل الثقافات.

خصائص الهوية الاجتماعية لعينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من مع ستة من المهاجرين ينحدر ثلاث منهم من سوريا وثلاث من إفريقيا يفصحون عن معتقداتهم ويمارسون عبادات وطقوس من الجنسين، ويمثل كل اثنين منهم الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية بتمثيلية اثنين لكل ديانة من الجنسين. على أن السن المتراوح للمستجوبين ما بين 25 و40 سنة، كلهم يقطنون بمدينة تمارة. على أن ما يميّز المستوى الدراسي للعينة هو أن أربعة منهم متمدرسين، ولهم حظ متقدم من المعرفة، ويجيدون التكلم باللغتين العربية والفرنسية، في حين أن اثنين منهم غادروا التعليم النظامي لبلدانهم في سن مبكرة، ويتكلمون فقط باللغة الفرنسية، غير أنهم ملمون إلى حد لا بأس به بأساسيات التواصل باللسان الدارج.، أربعة منهم متزوجين وواحدة عازب، وأخرى أرملة، على أن ثلاثة منهم يمارسون نشاطا اقتصاديا، في حين أن الثلاثة الآخرون يعيشون على التسول والإعانات النظامية وغير النظامية.

أدوات جمع المعطيات والمعلومات

تم الاستناد في جمع المعطيات على المقابلة الموجهة، لتشكل المصدر الأساسي لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم حول العديد من القضايا المتمحورة حول الحمولة الثقافية والهوية الدينية والصعوبات التي تمس مسألتي الاعتقاد والممارسة خاصة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي المعلن منها وغير المعلن بحضور متغير النوع الاجتماعي، ومدى تحقيق المهاجر للتجانس والتوافق في ظل تعدد الروافد الثقافي والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي. وهكذا تم تصميم الأسئلة الأساسية المكونة لنص المقابلة في شكل أربعة محاور صيغت في اثنا عشر سؤالا، جاءت تساؤلاتها وفق المنهج الآتي:

- ✓ **المحور الأول**: تساؤلات عن هوية المبحوثين وتتضمن بيانات خاصة بالمبحوثين، وخصائصهم الاجتماعية.
- ✓ **المحور الثاني**: تساؤلات عن الحمولة الثقافية والهوية الدينية للمهاجرة الثابت والمتحول، الممارس والمعطل
- ✓ **المحور الثالث**: تساؤلات حول والصعوبات التي تمس مسألتي الاعتقاد والممارسة خاصة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي المعلن منها وغير المعلن بحضور متغير النوع الاجتماعي
- ✓ **المحور الرابع**: تساؤلات عن ومدى تحقيق المهاجر للتجانس والتوافق في ظل تعدد الروافد الثقافي والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي.

وقد صيغت أسئلة هذه المحاور في شكل أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، احتوت في المجمل على (24) أربع وعشرون سؤالا، مختتمين إياها بسؤال مفتوح لبسط بعض الأفكار أو الملاحظات التي لم نورده، والإدلاء بالمقترحات.

الثقافة والهوية الدينية للمهاجر الثابت والمتحول، الممارس والمعطل

يشهد المجتمع الديني المهاجر في المغرب تحولات عميقة، يمكن أن يتم عبرها وصف وتحليل العديد من العمليات الناظمة للتغيير الذي يحدث في تدين المهاجرين وأشكاله تثبيتا أو انمحاء، سواء بالاعتماد على رصد الشكل الجماعي في الهيكل التنظيمي والطقوس، أو بالعودة إلى الأسس التدينية أو الاعتقادية، دون أن نتجاوز الحدود العرقية والدينية التقليدية للمهاجر وبالاشتمال كذلك على مستويات الحرية الاعتقادية ومساحة ما يسمح به المجتمع المغربي من ممارسة شعائرية. تدعم هذه التغييرات لربما نماذج جديدة في علم اجتماع الدين الذي يدحض في بعض من أطروحاته ونظرياته التعددية الدينية الداخلية والخارجية، بدلا من أن تؤدي إلى تراجع الدين، تشجع التحولات المؤسسية والعقائدية التي تنشط الأديان. علاوة على ذلك، فإن هذه التغييرات لا تعزى إلى

العولمة الدينية فحسب، بل إن هذه التغييرات لها آثار عابرة للحدود الوطنية على الأنظمة الدينية العالمية، وهي آثار تسهلها كافة الموارد المادية والتنظيمية التي يمتلكها المهاجرون الجدد على اختلاف انحداراتهم العرقية والدينية.

إن خبرة كليفورد بالمسألة الدينية بالمجتمع المغربي تأتي من حيث أنه "حاول تطبيق منهجه في أحد كتبه المهمة الذي تابع فيه التطور الديني في مراكش وإندونيسيا، أو روح المجتمع، ثم أثر النصوص والتاريخ في المؤسسات الدينية والسياسية وفي عقول الناس أيضا. وهذه عناصر نظريته، إذ يذهب إلى أن المطلوب ليس البحث عن تعريف للدين، كما ويرى أن الهدف من أي دراسة منتظمة للدين ليس وصف الأفكار والأفعال والمؤسسات، ولكن المطلوب كيف يحدد، وبأي طريقة أن بعض الأفكار والأفعال والمؤسسات تثبت أو تعجز عن تثبيت أو حتى تعميق الإيمان الديني. هذا يعني أن نفرق بين الاتجاه الديني نحو التجربة وبين أنواع الأداة الاجتماعية التي كانت خلال زمان ومكان معينين ارتبطت عادة بدعم مثل هذا الاتجاه.1 ولعل في محاولاته هاته لرصد المجتمعات ذهب كذلك إلى أنه لربما كانت تعرف ثباتا من حيث الحركية فيما يخص التلاقح البشري إلى حد ما، إذ كانت حاضرة ولكن ليس إلى مستويات مسبوقة كتلك التي يعرفها المجتمع المغربي بحكم موقعه، واعتبارات مختلفة تجعل منه قبلة للمهاجرين من عدة دول إفريقية، ودول المشرق لأسباب مختلفة. إنها هجرة بدوافع البحث عن الأمن أو الغذاء أو الانعتاق الاقتصادي، إذ أن هذا السيلان من الهجرات ومن روافد ثقافية ودينية واجتماعية مختلفة تحمل معها ما تحمله هذه المتغيرات، وهي ذات شأن في الاندماج التي يرومه المهاجرون، وإن كان يبدو في الوهلة الأولى ليس في مقدمة سلم أولوياته." أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الأديان والهجرة، فقد أهمل الباحثون، ولاسيما في الماضي، دور الدين في كثير من الأحيان أو قللوا من دوره في كل من عملية الهجرة وعملية الاندماج، على الرغم من أن العقيدة والممارسات الدينية احتلت مكانة مهمة في حياة المهاجرين."2.

إن الهجرات الفردية والجماعية، وتشكيل المهاجرين لتجمعات تنبني على ائتلاف بين الجلدة، والانتماء العرقي، لا ينفي الانجذاب نحو الحفاظ على ثقافة وهوية المهاجر واعتقاده وممارساته الدينية في ظل وطأة الاغتراب، حيث انكب العديد من السوسيولوجيين إلى لفت النظر والبحث في الممارسات والطقوس والشعائر واللغة كمحددات للهوية، علما أنها تحمل بعدا ثقافيا بمورّثات اجتماعية معرفية." بقدر ما يدعو مفهوم الهوية إلى "الحفاظ على الحدود العرقية"، وعلى أن الدين هو نوع من حصن الحماية العرقية؛ من ناحية أخرى، فإن ديانة المهاجرين ليست استعادة "بسيطة" في الحاضر لشيء من الماضي للبقاء على قيد الحياة في بيئة جديدة، يجب أن تعرف كيف تتكيف وتعيد اختراع نفسها. تساعد عملية التكيف هذه المهاجر على بناء هويات وسيطة جديدة تسمح له بالاندماج في مجتمع البلد المضيف دون خيانة تاريخه."3

تؤمّن الدلالات والسياقات والتراكمات التي تحدثها التعددية الدينية، لأن شساعة المعنى مرتبط بشساعة العمليات التي تحدث داخلها، إذ قد تكون بدلالات الانسجام وأحيانا التنافر اللذان يحدثان ضمن حالات النماذج الرمزية وعملياتها لدى المهاجر، إذ هي متوقفة على معرفة منطق تبنيها من طرف المهاجرين أفرادا أو جماعات، خاصة عندما تأخذ شكل طقس أو شعيرة، وإلا اندثر المعنى الذي يمكن البحث عنه من خارجهما.وفي هذا السياق تقول الأم الشيعية السورية م. ث 38 سنة مستوى جامعي: " إن المجتمع المغربي مجتمع مستوعب للاختلاف، لكن لديه حساسية مفرطة من المذهب الشيعي، والذي تعتبره الغالبية العظمى، خطرا يهدد المذهب السني، والذي عليه غالبية أهل المغرب. فهو يكاد يصم أذنه عن كل ما يخاف نهجه، المغاربة بالحمولة العاطفية الدينية، يجعل من اكسوريين مقدمين على غيرنا في الأعطيات والصدقات، لذا تجد أغلبنا ينبري أمام المساجد ودور العبادة. لا على أساس أننا مسلمين فقط بل لأنهم يؤمنون بأننا مضطهدون" وتردف قائلة " الصورة برأيي ليست بالشكل الذي يخيل لك، الهجرة لربما كسرت من عاداتنا الاجتماعية المنصهرة في طقوسنا الاجتماعية والمرتبطة أساسا بطقوسنا التعبدية. نحن لا ننكر وجود مناخ عام يتيح لنا التعبد والممارسة وفق اختياراتنا وخلفيتنا العقدية، لكنها تفتقد الرمزية التي يتيحها البعد الجغرافي، نحن نمارسها وسط ثقافة

لربما تضطهدها ثقافيا، ولكن تتيحها كاختيار.". يظل بهذا نقد غيرتز صحيحا فيما يتعلق بالتقدم النظري للتناول الاجتماعي الأنثروبولوجي للدين في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، إذ يقول: ليس ثمة إضافات نظرية ذات أهمية لاعتماد الاجتماعيين على المفاهيم السابقة والتقاليد الفكرية الموروثة من دوركهايم وفيبر ومالينوفسكي وفرويد، وهذه بدايات ضرورية لأي نظرية اجتماعية وأنثروبولوجية للدين بهدف وضعها في سياق معاصر أوسع. ولكن التوقف عند بعض التفسيرات للطقوس والشعائر وربطها بوظائف اجتماعية أقنع الكثيرين داخل المهنة وخارجها بأن الاجتماعيين والأنثروبولوجيين مثل اللاهوتيين كرسوا جهدهم لإثبات تميز المشكوك فيه وسقطوا في الأكاديموية التي تؤكد إنتاج السابقين دون تجديده."4

إن الشعور بأن حياة المرء ذات معنى يرتبط بالسعادة أو الرضا أو عيش حياة أخلاقية، ولكنه يختلف عنها، ولربما من خلال الدراسة يمكن أن يلوح دور الدين في توفير هذا المعنى أو التساؤل عما إذا كان التراجع الديني قد يؤدي إلى أزمة انعدام المعنى، ويمكن هنا تحديد الأنماط العامة لما يجده المهاجرون مفيدا بشكل عام، وكيف يقضون الوقت في العبادة أو ممارسة الطقوس أو الاحتفاء بالمناسبات الدينية التي تُفهم على أنها ذات معنى، وذلك بوجود مجموعة من الالتزامات ذات المغزى، منها ما يركز على العلاقات المتنوعة من العلاقات العائلية والأصدقاء، ومنها ما يركز على العلاقة مع المحيط، ومنها ما يركز على حرية الممارسة الشعائرية، وأخرى تركز على المثل العليا وأسلوب الحياة، وهي الأكثر عرضة للتركيز على الالتزام الديني، الأشياء التي يفعلها المهاجرون في حياتهم اليومية والتي يفهمونها على أنها ذات معنى، إذا ما كانت تحقق نوعا من الاندماج والرفاه في العيش، وتكسر من صدمة الهجرة بالسعادة والرفاهية، وكيف تشكل الهوية الدينية وغير الدينية من يحتضن أي التزام من هاته الالتزامات. "على العكس من ذلك، فإن "أوليفيرو" يرى أن "استبعاد ما هو ديني من المجال العام يؤثر في كافة الأديان ويسهم في خلق خواء روحي لا تستطيع العلمانية أن تشغله بما أنها تبدو ليست كمثل نظام من القيم، لكن كمثل كل من القواعد المنظمة من دون بعد روحي". ولا شيءَ يُجدي في معارضة "الهوية" المسيحية، بما أن هذه الهوية علاوة على ذلك وكما يذكر البابا– ليست حاملةً لروحانية، وإلا كيفَ نُفسر واقع أنها تستوعب جيدًا العلمانية كما نراها لدى مارين لوبين."5

إن الدراسة توسع البحث حول كيفية استخدام المستجوبين للتصريحات المتضمنة لخطاب الهامشية للدفاع عن عدم اندماجها وسيطرتها على المجال العام وتعزيزها، خاصة المقابلات مع مرتادي الكنيسة لفهم الدعم السياسي والذي لا يوازيه في القوة الدعم المجتمعي للتيسيرات الدينية التي تميز المعتقدات المحافظة حول الجنس والزواج المختلط، على الرغم من أن بعضا منها يسلط الضوء على كيفية استيعاب المجتمع السياسي المغربي للتدين أو اللاتدين للمهاجرين في سياق يتمتعون فيه بالفعل بمزايا اجتماعية وسياسية لا مثيل لها مع بلدان أخرى.

ينبع هذا النمط من التصنيف والتعريف من الهويات العرقية والمواقف الاجتماعية التي تكون أحيانًا عنصرية ومرتبطة بشكل أو بآخر بطريقة ضرورية بالأصل. يجب أن تستند خصوصيتها إلى الإيمان المفروض أو الداخلي في أصل مشتركة للفاعلين. يمكن أن تؤدي مثل هذه المعاملة إلى إجراءات متبادلة وموجهة تجاه بعضهم البعض وأشكال التشاركية. في هذا التكوين العرقي، يشكل الإسلام والعروبة والبياض والسواد مراجع أساسية، يتم حشدها باستمرار خلف الكواليس أو في الأماكن العامة. إنها أقطاب الهوية، والموارد الثقافية والرمزية التي تجتمع معًا لتشكيل شخصيتين نظاميتين، ومجموعتين عرقيتين: مجموعة الأغلبية التي تمنح نفسها نسب النسب للنبي محمد، والإسلام الأصيل، والعروبة، والإبداع القانوني، وأعاد تلك الأقليات إلى الوثنية والغربة، إلى العبودية القانونية"6. هنا تستكشف الدراسة جوانب تمثلات المهاجرين الذي ساهم في تشكيل الخيال الديني، خاصة الذي كانت لهم هجرات متعددة لبلدان، إذ لم يقبل معظمها الديانات الأرثوذكسية وحابوا الديانات الكاثوليكية أو غيرها من الديانات المؤسسية، بل أنشأوا ينخرطون في طقوس التدين الإسلامي باستخدام العناصر المرتبطة بالرغبة في الاندماج مستعينين بقدراتهم اللغوية والاجتماعية في تحقيق ذلك.

وهذا ما ميزهم عن المهاجرين المسلمين الآخرين المشاركين في الدراسة، مركزين على دعم السياق السياسي والمعياري المغربي خيالهم القائم على الحرية العقدية والتسامح الديني. وهذا يسمح لنا باستخلاص بعض أوجه التشابه فيما يتعلق بالعلمنة – التدريجية في المجتمع المغربي، والتي هي قسرية في تجارب مماثلة لهم في بلدان عبرها أثناء هجرتهم والدور السياسي في هذه العملية.

غالبًا ما ركزت الدراسات التي تدرس الآثار المترتبة على التعامل مع الدين كخيار شخصي على ما إذا كان هذا النهج الفردي تجاه الدين قد قوض أو عزز الالتزام والهوية الدينية. تظهر الدراسة على أن التعامل مع الدين كخيار شخصي لا يؤدي ببساطة إلى تكثيف الهويات الدينية أو إضعافها، بل يولد فرصًا بينما يؤدي في الوقت نفسه إلى معضلات تحيط بالفرد. بناء الهوية الدينية. علاوة على ذلك، أما فيما يتعلق بالمعضلات الناشئة عن هذا النهج الخاص تجاه الدين أنه لا يزال بإمكان المهاجرين البقاء مرتبطين بهياكل السلطة الدينية على الرغم من حشدهم المتكرر لخطاب يشير إلى الاستقلالية عبر روايات "الاختيار"، لتتعدد الافتراضات بشأن كيفية تشكل الهويات الدينية في السياق الثقافي للفردية الدينية مقابل السياق المجتمعي لبلد المهجر، وتساهم في اندماج الهويات الدينية للمهاجرين المسلمين بحضور الاختلاف المذهبي. هنا يمكن أن القول بأن اتجاه غريتز حين اعتبر نسق الرموز يعمل على إقامة روابط قوية قائمة على الشمولية والديمومة والتي من خلالها يتم تشكيل التصورات حول المحيط بواقعية كبيرة ومتفردة. وكأنه استشراف للكونية، بالارتكاز للأسس الثقافية العامة والخاصة للنوع البشري قد تكسر أمام متغير الهجرة، والتي لربما لم تتح للرمزية الثقافية للاعتقاد والممارسة الدينية نيل تلك الوجودية المستشرفة، إذ تغذو باهتة عند وجود قطيعة بينها وبين فضاء النشأة، والذي يعده المهاجر ركنا أساسا للإبقاء على تلك الحمولة الرمزية الثقافية. "يعبر غيرتز عن اجتماعية الدين وارتباطه بالواقع بطريقة بليغة حين يقول: قد يكون الدين حجرا مقذوفا على العالم، ولكن لا بد من أن يكون حجرا محسوسا وأن يقذفه شخص ما."7

إنه إذا كان الخطاب الغيرتزي يكاد يعمم تعريفا مرتبطا بالخصوصية الثقافية الدينية الغربية، ليتخذه مقياسا لتحليل ديانات أخرى تخضع لعلاقات مختلفة بالتعاطف الديني والتآزر ..... في تلميح لمدى مساهمة الثقافة المحلية المنتشية بالدين في تدبير الشأن العام، وفق قواعد وضوابط واتجاهات المجتمعات المحلية التي تحاول أن تبتلع ثقافات المهاجرين، وأول مظاهرها اللغة والطقس الديني، وإن أصابها الانزواء والاعتزال ضمن تدبير الخاص، ولتصبح مجرد معاني رمزية مرتبطة برؤية عامة للوجود يعبر عنها بطقس أو معتقد لا غير. إن الطقس والعبادات والمراسيم هي محسوسات الرموز، من حيث رمزية الانتماء، هو عبر عنه محمدو من ساحل العاج 34 سنة مياوم في مجال البناء، ومتخصص في الاعلاميات باللغة الفرنسية:

"Je suis chrétien, et je me retrouve devant des lieux de culte musulmans à mendier avec des hymnes chrétiens, et pourtant je reçois l'aumône."

من هنا يمكن القول على أن تمثل العواطف الدينية يعد مكونا أساسيا في تدين المهاجر وحركيته ببلد المهجر، وقد تمثل مصدرا لمختلف الانفعالات من خلال طبيعة المواقف التي يعيشها، والعلاقات التي يؤسسها، ومن تم فهي تسهم في إثارة العوامل الاجتماعية والثقافية، وصياغة مختلف أشكال التعبير عنها.وهو ما ينفي الانتقائية في الاندماج للمهاجر في ظل اختلاف المعتقد ،ولكن الحمولة العاطفية المشبعة بالأسس الإنسانية كفيلة بان تجعل من القبول بالآخر، ليس احتراما دوما لمعتقده ولكن تعاطفا مع قضيته، أو الظروف التي ألجأته للهجرة، خاصة بحضور متغير النوع الاجتماعي، وهو ما قررته المهاجرة الغينية اليهودية الديانة،34 سنة، عازب، متسولة قائلة:

« Nous nous tenons devant les mosquées, aux feux rouges, aux portes démarchés pour mendier, et je remarque souvent que nous, les Marocains, sympathisons avec

les femmes en général, et les femmes avec de jeunes enfants. Les Marocains eux-mêmes, et les Syriens qui sont musulmans, et d'après mon expérience personnelle, personne ne m'a jamais posé de questions sur ma religion. Je ne pense pas que je trouverais difficile de professer la nature de ma croyance ou de ma pratique religieuse, bien que ce ne soit pas le cas. »

مهما كانت مصادر الإيمان عند الفرد أو الجماعة فلا بد من أن تستند في هذا العالم بأشكال رمزية وتنظيمات اجتماعية، وماهية أي دين أو محتواه المحدد تتجسد في التصورات والمجازات التي يستعملها الأتباع في تميز الحقيقة. وهذا المجال الديني في تطوره التاريخي يقوم على المؤسسات التي تعطي أولئك الذين يوظفونها تلك التصورات والمجازات المتاحة." يختلف منهج البعد الثقافي الأنثروبولوجي كثيرا عن المقاربات، إذ يعتمد على المقابلة ويهتم بالتاريخ والفلسفة، وبالتالي يصل إلى نسبية الثقافة في تطورها عندما تقارن مع نفسها في الماضي أو بثقافات معاصرة أخرى. ويعتبر غيرتز من أهم ممثلي هذا الاتجاه، بخاصة وهو يصل إلى أن الدين نظام للمعنى أو نسق للرموز ويمكن بتحليلها فهم الدين أنثروبولوجيا."8

إن العلاقات بين "الهوية" و"الذات" لربما هي هنا مفاهيم تميل إلى تناولها بشكل منفصل في الخطاب الغيريزي في تصور الذات، إذ تتميز الذات "المهاجرة" بتشتت الهوية لأنها آتية من هجرة قسرية، كما يمكن يتم اعتبارها عمومًا نقطة انطلاق، من خلال تعريف مفاهيم الذوات المهاجرة أي ذوات الأشخاص الذين تدرسهم الأنثروبولوجيا تقليديًا من خلال نفي عدد من الصفات. وعلى غرار المفاهيم الأنثروبولوجية للهوية، فإن هذا الفهم للذوات المهاجرة يشير في الدراسة حصريا إلى العناصر المشتركة مع الآخرين وليس إلى السمات الفردية. وبالتالي، فإن الخطاب الأنثروبولوجي يصرف الانتباه عن الأفراد المهاجرين، ويتجسد النهج المختلف في حالة المجتمع المغربي، كونه بيئة اجتماعية تتميز بتعدد الهويات المختلفة والمتناقضة أحيانا، ثم إن تحليل كيفية تصرف المهاجر في المواقف التي تنطوي على هويات متناقضة يتطلب مفهوم الذات كما ينبثق من تصرفات المهاجرين القادرين على إدارة الهويات المشتركة أو المتضادة أحيانا. وإلى جانب أي سمات خاصة بالثقافة، تتمتع هذه الذات بالانعكاسية والفاعلية، كما لا يعد مفهوم الذات هذا مكملاً ضروريًا لمفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا كمفهوم إنساني عالمي.

الصعوبات في الاعتقاد والممارسة بوجود الاختلاف بين المعلن والمضمر

لعل الهجرة والتدين تثار معها قضايا من مثل الاستقرار الديني الفردي، والاغتراب الديني والتعصب الديني والمذهبي والتعايش الديني وغيرها في ربط بين ثنائية الفرد المهاجر ومجتمع الهجرة، حتى يمكن أن يفهم كل منهما من خلال الآخر، وهذا في حد ذاته امتزاج بين المستويات الكبرى والصغرى لكليهما. إنها أسئلة عن كيفية تأثير الثقافة المحلية على تنميط مثل هذه العواطف الدينية والإحساس بها، واكتسابها، وتحوّلها، والتحكم فيها في الحياة اليومية، وتبريرها ولربما إضفاء الشرعية عليها من خلال تفسيرات معينة، إنها تلك العلاقات بين المشاعر الدينية للمهاجر من ناحية والثقافات والأبنية والتفاعلات من ناحية أخرى لبلد المهجر، لتمثل ناظما مفصليا بين المجتمع والفرد المهاجر، حتى في المجالات الأكثر شخصية في حياة الأفراد المهاجرين. ولعل بعضا من المهاجرين خاصة الذي يعتنقون الدين الإسلامي يتمتعون بفرص منتظمة لاتخاذ مواقف إيجابيات بشأن الهوية الدينية والثقافية، وهو ما ساعد في الحفاظ على الاستقرار التنظيمي لهم على الرغم من الاختلاف المذهبي أحيانا. وكيف أنهم يردون على القرارات المذهبية المثيرة للجدل. يكشف تحليلنا النوعي للمقابلات عن ثلاث استراتيجيات يستخدمها المهاجرون وهي المشاركة الاجتماعية والاندماج واستثمار متغير اللهجة، والمناقشة، والاعتراف. علاوة على ذلك، نظهر أن الاستراتيجيات المختلفة من المحتمل أن تكون مرتبطة بتصور المهاجر

لمواقف المحيط، إلا أن بعضا منهم كان على استعداد لاستخدام التنازل أو التورية العقدية والطقسية في سبيل تحقيق هوية منقوصة، هم مجبرون على إتيانها، لكن معظمهم يوازنون تعليقاتهم مع الجهود العملية لتقليل الصراع، ونتيجة لذلك، يوجد صوت أكثر شمولاً، ولكن قد يتم إسكاته بسبب المخاوف الجماعية.

يقيم المهاجر من خلال الدراسة تصورا عن كيفية تدبير السلوك الاجتماعي ذو البعد الديني في استمالة الآخر، وأحيانا عدم استثارة مشاعره العدوانية باسترضائه. وفي هذا السياق يصرح المهاجر السوري الدرزي، 41 سنة، متزوج، عامل في مجال حفر الآبار، وبلغة عربية سليمة قائلا: "لقد خبرت المغاربة جيدا، من خلال طبيعة عملي التي تفرض علي التنقل بين مدن عديدة، ويمكنني أن أجزم بأن المغاربة يولون الدين شأنا كبيرا عموما، وهم مختلفون بِشأن الممارسات الدينية، مجتمع مستوعب لكل الأطياف الدينية، لكنهم يغضبون، ولا يمكنك أن تتوقع ردة فعلهم عندما تثير وتستفز مشاعرهم الدينية، فهم أكثر عدائية مما تتوقع، إلا أن بهم تعصبا لمذهبهم السني، ولا يقبلون مثلا بغيره من المذاهب في صفوف العامة منهم، ويتخوفون من خطر المد الشيعي. إن ثقافة المغاربة لها رمزيات ثقافية، نجدها أحيانا تنهل من عندنا وهو ما عايشته حال احتفائهم بعاشوراء، فهم يضرمون النار، ويزورون المقابر، ويصومون، ويتوسعون في الشراءات في هذا اليوم، وإنني لأجد هذا النسيج المتضارب من العادات لهو لصيق بديانات ومذاهب مختلفة."

إن منظور المهاجرين للقيم الدينية والاجتماعية في ظل التغيرات المستمرة، بالإضافة إلى ما نلمسه من نمط الاستقطاب المتزايد لهم كمجال للطقس الديني ولو في ظل أحيانا الاختلاف الديني، ليكونوا مثلا عنصرا مستفيدا من الصدقات والزكوات والأضحيات، مع سعي العديد منهم للتعايش الثقافي الاجتماعي القائم على التدين، مع محاولة التماهي مع أي من التقاليد، ولربما يرجع ذلك في جزء كبير منه إلى تغير أنماط الهجرة السورية وجنوب الصحراء إلى شمال إفريقيا ذات الأغلبية المسلمة بعيدًا عن أوروبا الغربية (والمسيحية)، جنبًا إلى جنب مع الهجرة تحولات ثقافية وقيمية، وتشمل هذه التحولات من الهيمنة إلى التنوع، من الالتزام بالإشباع الروحي، ومن الاحترام العقدي إلى التمييز الإيجابي.

لقد درس غيرتز كيف تطور دين واحد له التعاليم نفسها بطريقتين مختلفتين بحسب الظروف التاريخية الاجتماعية. كذلك كيف تؤثر الثقافة المحلية في الدين الواحد، أي العلاقة بين النص والفعل. ويشير إلى أزمة تتمثل في الصدام بين الاعتقاد والممارسة."9، لذلك فتعريف غيرتز ذاته هو في بعض من أوجهه نتاج لرؤية تنويرية، تنظر إلى الدين كظاهرة خفية قادرة على الوجود، مفصولة عن المجال العام، وكأننا بها إستراتيجية نقدية لإبراز الخصوصية التاريخية للمفاهيم الكونية ربما لكثرة نهله من المسيحية الحديثة، ركزت على جانب الخطابات والممارسات الدينية، بما يكتنفها من إمكانات وضعها الشرعي تعتمل داخله سياقات تاريخية.

إن استقلالية الرموز الدينية من عدمه لدى غيرتز كأدوات للمعنى والدلالات، تنتفي بحضور عوامل الضوابط الاجتماعي انقيادا لاستيعاب شمولي يتلمس الصدقية عند الحديث عن طبيعة وحقيقة أي من التجارب الدينية، لا في كيفية ومنسوب، ولكن بالنظر أولا إلى منطق تشكّلها، رغم صعوبة ذلك بحكم تصنيفها ضمن دائرة المعتقد ذي لطبيعة الروحانية. إن التدين وفق الرؤية الغيرتيزية يتأكد بعض منها على بعض عينة البحث خاصة المهاجرين المسيحيين حال التركيز لديهم على الرموز المقدسة، وبوجود مكون التفاعل بسلطة المزاج والحافز القوي الشامل والدائم في نظرته للوجود، ونظامه العام في خفوت ملحوظ للتصورات عن بنية مجتمع الاستقبال. وهو ما أفرز رؤى غير محددة للطريقة التديّنية التي يسلكونها، فهم غالبا ما يرومون الانسجام بين السلوكات ورؤيتهم للوجود، لتظهر السلطة القوية للرمز عبر قوة المعاني، يتم إسقاطه واقعيا عبر تمثّل المعنى معياريا لواقع مجرد، وهنا يمكن أن نلاحظ إلى إمكانية حدوث فجوة أو شبه انفصال بين التصورات للوجود والممارسة الدينية عند لزوم حضور المعنى والرمزية للطقس. وهو ما ينتفي بنسبة كبيرة لدى المهاجرين السوريين الذي يربطون الرمزية في تبني الطقس الديني كدلالة على التميز ضمن الانتماء السني أو

الشيعي، ولكن بربطة بالممارسة الدينية الثقافية." إن العمل حول الدين لم يحرز تقدما ذا بال في حقل النظرية، وها هو يعيش متطفلا على رأس المال المفهومي لأسلافه، ولا يضيف إلا القليل ما خلا بعض الإضافة الإمبيريقية التجريبية. أما الخاصية الثانية فهي أن هذا العمل يستخلص المفهومات التي يستعملها من تراث فكري محدد بالغ الضيق، فهناك دوركايم أو فيبر أو فرويد أو مالينوفسكي، ونجد أنه في أي عمل من الأعمال يكون هناك أتباع لمقاربة أو مقاربتين لهؤلاء المفكرين البارزين، إنما هي تصحيحات هامشية قليلة يفرضها الميل الطبيعي للإفراط لدى العقول اللاقحة أو يفرضها الازدياد الحاصل في المعطيات الوصفية المركون إليها، ولم يفكر أي أحد حتى مجرد تفكير بالنظر في حقول أخرى في الفلسفة أو التاريخ."10 . يمكن أن نعزو ذلك لكون المشترك الديني ببلاد المهجر أكثر حضورا أكبر من المختلف بشأنه، ولربما إمعان المهاجر في عدم إظهاره أو حتى إثارته استجلابا للسلم الاجتماعي، من طمر مقصود لكل رمزية أو طقس يشعل فتيل الاختلاف، ويضيع على المهاجر فرصة التعاطف ومد كل سبل التعاون والتعايش وفرص الاندماج. لقد أدى وصول المهاجرين الجدد من ديانات مختلفة إلى دفعهم نحو التساؤل بشكل متزايد حول الحاجة إلى تكييف المؤسسات مع التنوع في الحياة العامة، يُظهر تحليل التوجسات التي أظهرها المهاجرون التحول من مشكلة لغوية في الأساس (استخدام الفرنسية أو الإنجليزية في المجال المدرسي) إلى مشكلة عرقية ودينية بشكل متزايد، ويتناول على وجه التحديد تضارب القيم في مواجهة التنوع العرقي والثقافي المتزايد لأبنائهم. إننا نتحدث عن صراعات القيم بمعناها الواسع، مما يظهر أن العديد من المشكلات المستخدمة كأمثلة تحتوي على عنصر ديني.

في هذا الصدد يشير غيرتز إلى اتجاهين أساسيين يرتبط الأول بكيفية الانتقال من الحالة المحلية إلى الحالة العامة، من خلال فهم التفاعلات الداخلية للمجتمع بتلك السماكة الغليظة للحقائق لاكتشاف تلك التشابكات كمحدد لإيقاع المجتمع. والثاني ويهم المقاربة الاجتماعية، باعتباره وريثا فكريا لفيبر، حين يميل غيرتز للتفسيرات الممكنة القائمة على ملاحظة الواقع وقراءة الوقائع. وهذا ما يشير إليه بودون حين يقول بأن " ما يمكن أن نستفيده من ماكس فيبر في دراسة الدين هو دراسة تفاعل النظم المختلفة، مع مراعاة أن نظرية فيبر ليست في حقيقتها تغليب الروحي أو الأخلاقي على العوامل الاقتصادية، فهو قد اهتم بالطرق التي ترتبط بها أنماط معينة من التجربة الاجتماعية، كاختلاف التراتب الاجتماعي والطبقات الاجتماعية، بالنماذج المختلفة للتعبير الديني، والبحث عن معنى في كل الأديان والعقلنة من خلال التسامي برموز قديمة، كما أن كل ديانة هي تنظيم، فالبروتستانتية شكل تنظيمي للمجتمع الديني ولكنها، بالطبع، ليست مثل التنظيمات الاجتماعية الأخرى." 11.

إننا نلمس تأثير التدين والهوية الثقافية على المواقف تجاه المهاجرين بالمجتمع المغربي، وقد أدى التنوع المتزايد داخل مختلف مستويات المجتمع الناجم عن الهجرات الأخيرة إلى تحويل استقبال المهاجرين واندماجهم إلى قضية رئيسية، حيث يُنظر إلى المهاجرين في كثير من الأحيان على أنهم تهديد للسلم الاجتماعي، وبنوع من الحدة الخفيفة والمتخفية أحيانا للدين والثقافة السائدة، مما يؤدي إلى تفاقم عملية الهجرة واستبعاد التكامل الذي يمكن أن يحققه المهاجر داخل المجتمع. لقد حددت المقابلات أن المستويات الأعلى من التدين ترتبط بشكل إيجابي بالمواقف الإيجابية، على أنه ليس هناك ارتباط بين المواقف السلبية تجاه المهاجرين اعتمادًا على درجات التدين المختلفة ومستويات الثقافة، والاختلافات في السياقات الاجتماعية والدينية، مع التركيز على التفاعل بين الدين والهوية الوطنية وأنماط الهجرة، إذ هناك تعاطف وتضامن مع المهاجر ذي القضية على حساب المهاجر من أجل تحسين الوضع، أو جعل المغرب محطة عبور ليس إلا. وتماشيا مع هذا، يظهر بحثنا أن التدين له التأثير الأكبر على المواقف الإيجابية تجاه المهاجرين. هذا لا ينفي أن هناك تلميحا لاعتبار ديناميات الهجرة في المغرب أصبح ينظر إليها على أنها مشكلة، في إشارة إلى الاستقبال الاجتماعي للمهاجرين، حيث يُنظر إلى المهاجرين واللاجئين بشكل سلبي بسبب الاختلافات الثقافية والهوية التي يجلبونها معهم، غير أن المهاجرين أنفسهم يرون بأن المجتمع المغربي يرون أن وثيرة تقادم تواجدهم بالمجتمع المغربي، بدأوا يستشعرون بأنهم داخل مجتمع مهيمن، فهم بدأوا يتحولون

ل" آخرين" من قبل الأغلبية، في حين أن مستوى هذا "الآخر" يعتمد على خصوصيات مجموعات المهاجرين من حيث المشاكل التي تصدر عن بعضهم لا من حيث اللغة والاختلافات العرقية، والانتماء الديني، والانتماء الديني. – الاختلافات الثقافية والاجتماعية عن المجتمع المهيمن. بالنظر إلى هويات المجموعة والتفاعل الناتج بينها، يدرس غيريتز ما تشمله عملية "الآخر". هذه العملية المعتادة لبناء وتفكيك الهويات الاجتماعية من خلال تفاعل المجموعات المختلفة بغض النظر عن المعتاد، يمكن أن تثير أحيانًا "آخر" المجموعات التابعة للجماعة المهيمنة، فإن "الآخر" يمثل تصورا للأقليات من قبل المجموعة المهيمنة، على أنه شيء مهدد أو دنيء أحيانا، مما ينتج عنه دلالات سلبية واستبعاد "الآخر". إنه نتيجة الخوف والحاجة من المهاجرين إلى الاحتفاظ بالمكانة الرائدة داخل المجتمع. وبما أن المجموعات الدينية داخل المجتمعات قد تتنافس في الغالب مع بعضها البعض على الاستقرار والاندماج بوجود متغير التدين، ولربما هذا هو بالضبط السبب الذي يجعل المهاجرين يحاولون أخذ ما هو موجود للاستفادة منه، محاولين ألا يجعلوا من هويتهم الدينية، كتهديد محتمل وخطر على استدامة اندماجهم الاجتماعي والثقافي وبالتالي، فإن هذه المواقف السلبية تجاه "الآخر" المحدد قد تختلف اعتمادًا على الدين السائد في البلد، ومستويات التجانس الديني وكيفية تنظيم العلاقات بين الدولة والمحيط، إلى جانب العوامل المؤثرة من مثل الموقع الجيوسياسي للبلاد وبنيتها الديموغرافية وخلفيتها التاريخية للعلاقات الدينية والوطنية.

إن تعديل المفهوم وإعادة صياغته مع التأكيد على سلطة رمزيته حال التداخل إما بالتوافق أو التنافر في المفهوم والدلالة، ومن إن الرموز الدينية لا يتم تحجيمها في مجرد سلوك أو حادثة تؤشر على المعنى الديني، بل هي متعدية إلى حدود تتيح إمكانية ذلك استثمار اللسان الدارج والسحب المؤقت للغة الأم للمهاجر لا بهدف التواصل ولكن بهدف إحكام السيطرة في القبول من الآخر في تدبير العلاقات الاجتماعية، ليغدو التواصل واللغة ليس استبعادا وطمسا للهوية بقدر ما هو استثمار بالتنازل لمكاسب اجتماعية عديدة عما تحيل إليه." على الرغم من الصراعات، لا يزال الدين يلعب دورًا حاسمًا في الحفاظ على الهوية الثقافية وإعادة بنائها وفي دمج المهاجرين في المجتمع الجديد. في الواقع، أدت الهجرة إلى تطهير الدين تدريجياً من مكوناته العرقية، مما سمح للأجيال الشابة بالتعرف بشكل أفضل على المجتمع المحلي."12 وهو ما يرجع بنا إلى أساس التصور الأنثروبولوجي الغيرتزي للثقافة والأنماط الثقافية كمركبات من الرموز، وكمصادر للمعلومات خارج حدود الذات. إن ذوبان الأنماط الثقافية للمهاجر في تدينه يتم عبر إعادة صياغة السلوك وإظهار تصورات غالبا ما تنهل من الواقع أو تستنسخ منه، هدفها الموازنة كنظام يتنازل في ظاهره عن الرمزي الصورية ويحاول الإبقاء على المعنى والدلالة.

"يذهب الأنثروبولوجي البريطاني مالينوفسكي إلى اعتبار أن الدين بمثابة مخرج من المآزق التي يعجز الطريق التجريبي عن العثور عن حلول لها إلا بواسطة الشعائر والاعتقاد والإيمان بما روحاني، كما أن الطقوس وما يتبعها من معتقدات ترتبط بالحاجات النفسية العميقة للإنسان، بل إنها وجدت لإرضاء هذه الحاجات الأساسية الكامنة في الشخصية."13 يبدو كما لو أن هذه الأنماط الثقافية التدينية المتمثلة في الرموز شيء وواقع التعاطي شيء آخر، وهو ما يمكن بسطه من خلال قراءة تصرفات المسيحي الإفريقي والسوري الشيعي، وكيفية بنائهما للسلوكات الدينية داخل المجتمع، من خلال استعمال المصطلح واللفظ وتوصيف سلوكاتهم هاته، ومحاولة إخفاء تمايزهم الديني." اليوم، من ناحية أخرى، في المجتمعات المعاصرة متعددة الأعراق والتعددية، بسبب الوجود المتزايد للمهاجرين على وجه الخصوص، نلاحظ تنوعًا كبيرًا في السلوك الديني والثقافي للمهاجرين، الذين يجلبون معهم تقاليدهم الدينية الأصلية. إنها تجعلها مرئية ليس فقط من خلال بناء المعابد والمساجد والمعابد، ولكن أيضًا، وقبل كل شيء، في إعادة تعريف العلاقات بين الناس من مختلف الثقافات والأديان، مما يسمح بالتعايش السلمي وليس التراجع المعزول. في شكل جيوب. أو الأحياء العرقية."14. المهاجرون يعبرون على أنهم ليسوا بحاجة لتبرير المعتقد الديني، إلا أنهم بحاجة إلى تأمين تفاعلاتهم مما يجرح أو يثير حفيظة ديانة المجتمع المهيمن، وهو غي الوقت ذاته يخدم الوظيفة المعرفية، هذا النوع من الفهم يؤدي إلى إنتاج مسارات، ويستبعد الصراع حول افتراضات

معينة، وقد شكل هذا تحديًا أمام المهاجرين لشرح كيف يمكن لشكل من أشكال اللغة أو العابرة للحدود أن يحمل محتوى معرفيًا ذا معنى.

المهاجر وتحقيق التوافق في ظل تعدد الروافد الثقافية الاجتماعية والدينية واللغوية.

إن الدراسات حول الروابط بين الهجرة والتنوع الديني حديثة للغاية لعدد من الأسباب. أولاً، لعبت قضية الدين دورًا أصغر كموضوع للدراسة في العلوم الاجتماعية بشكل عام حتى منتصف السبعينيات، ويرجع ذلك أساسًا إلى تفوق نموذج العلمنة، ولم يبدأ التشكيك في هذا النموذج إلا خلال ستينيات القرن العشرين، مما جعل من الممكن إعادة التفكير في دور العامل الديني في المجتمعات المعاصرة من منظور جديد. وقد اهتم هذا النهج بشكل خاص بالأقليات الدينية، والأشكال "الجديدة" للدين وبشكل عام، المكانة التي يحتلها الدين في المجتمعات المعاصرة، وخاصة في المجال العام مع كل من كازانوفا ولوفيفر، وحتى نهاية التسعينيات تقريبا، تم التعامل مع قضية ديانات المهاجرين إلى حد كبير ضمن نطاق الدراسات المتعلقة بالهجرة أو العلاقات العرقية. وكان هذا أيضًا يرجع إلى حد كبير إلى الطريقة التي تم بها تصنيف هؤلاء السكان، عادةً على أنهم مهاجرون، وبالتالي فإن ظهور اهتمام خاص بالتداخل بين الدين والهجرة والسياسات العامة يعني أيضًا حدوث تحول في التصنيف يتوافق إلى حد ما مع التصور السياسي للمشكلة.

تعتبر الثقافة بمحددات اجتماعية ودينية ولغوية متجذرة في المجتمعات من خلال قوتها الرمزية وحركيتها المستمرة حيث تتميز بالاعتماد على الرمزية والهوية، ولعلها هي الوسيلة المعتمدة في نقل التجارب والتواصل وهي الحافظة للرمزية الجماعية." ومع ذلك، إذا كان اندماج المهاجرين لا يتطلب بالضرورة التخلي عن تقاليدهم الدينية الأصلية، فلن يحافظوا عليها بالانسحاب إلى مجتمع عرقي محدد جيدًا، وأصولي في بعض الأحيان. في الواقع، فإن الانسحاب المعزول، من ناحية، يغذي تحيزات ومخاوف السكان الأصليين، ومن ناحية أخرى، يبطئ عمليات التفاعل مع المجتمع بشكل عام ومع الجماعات العرقية والدينية الأخرى على وجه الخصوص."15

إن التطور الناتج عن الهجرة يبرز، بطرق مختلفة، تعدد المرجعيات التاريخية والرمزية، التي يستمد منها المجتمع المغربي قيمه ومعاييره التأسيسية، وعلى رأسها الدين والاعتقادات، والثقافة العميقة الوافدة بفعل الهجرة، والمثل الجمعية، وما أتت به ليبرالية التنقل، منطلق جديدة للتبادل والتعبير والتذوق والتعامل. فأماكن الهجرة، كيان سوسيولوجي وثقافي متنوع، يعبّر فيه المهاجرون عن ميولاتهم، واتجاهاتهم، وأن متخيلهم الجمعي، كيان تتمظهر فيه مختلف الإرادات، وتتواجه فيه الأفكار توافقا أو تنافرا. إذا كان الواقع المتنافر والمتناقض للمجال بالنسبة للمهاجر في تدينه وممارسة طقوسه وعباداته وعاداته، يطرح مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية، فإنه يطرح أيضا مشكلة ثقافية من حيث الجوهر." يؤكد علماء اجتماع الحركات الاجتماعية على الدور الذي يمكن أن يلعبه بُعد الهوية داخل المجموعات الموصومة (الإثنية، والجنسية، وما إلى ذلك). بل إن هؤلاء يهدفون من خلال خطاباتهم وأفعالهم إلى تحدي الصورة السلبية السائدة في نظرهم وتحويلها إلى صورة أكثر تفضيلاً."16. إن للدين ليس رمزية اعتقادية أخلاقية فقط، بقدر ما يحمل من رموز ودلالات تصوغ مفاهيمهم للوجود والقضايا، وهو ما يؤثر بشكل كبير على حالاتهم النفسية وشحناتهم الانفعالية، وما يميزها هو ارتباطها بالواقع التديني للفرد والجماعات. ومن ثم فإن أنشاق الرموز تشكل نظاما من المعاني التشاركية والدلالات التبادلية، بأبعاد ثقافية ضمن الفعل الإنساني والتفاعلات التي تندرج فيه.اعتمد غيرتز في رصد وتحليل التغيرات التي عرفتها الحياة الدينية بالمغرب بالأساس على المعطيات الميدانية والتاريخية التي جمعها حول الموضوع، فدراسة الدين تبدأ من تحليل أنساق الدلالة التي يستعملها الفرد داخل الحياة الاجتماعية. إذ يقول " فمن أجل معرفة طبيعة التغيرات التي تطرأ على الأشكال الدينية التي لا ينبغي جمع رفات الوحي أو وضع لائحة للمثالب والزلات، وإنما ينبغي كتابة تاريخ للخيال الاجتماعي."17

حتى وقت قريب، كان ربط الهجرة بالعامل الديني يميل إلى التركيز بشكل أساسي على تجارب المهاجرين الطقوسية دون غيرها من اللغة والعرق، أهمية الدين في عمليات الهوية والاندماج في المجتمعات المستقبلة لا يمكن أن رصده إلا بها وعبرها، لا سيما في السياق المغربي. فإذا كان المنظور البنائي مع كل من يزبك وسميث وإسبوزيتو، مارتينيلو، غالبًا ما يتم التركيز على الطريقة التي يتم بها إعادة تخصيص الرموز الدينية في سياق العلاقات العرقية. إن هذا الاستخدام العملي للدين على وجه الخصوص يمكّن المجموعات من التركيز على العنصر الديني فوق السمات الأخرى في محاولة لتمييز نفسها عن المجموعات الأخرى، سواء في السياق الوطني أو الدولي، فقد يكون التأكيد الديني علامة مهمة على الانتماء العرقي، وقد يشكل استجابة هوية للإقصاء الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي تخضع له فئات عرقية معينة من أصل مهاجر. إنه في سياق الهجرة، يعد الدين سلاحًا ثقافيًا قد يستخدمه أولئك الذين يعيشون في ظروف غير مواتية لمحاربة الاستبعاد، في إطار التأكيد العرقي الذي يعزز الوضع بشكل شخصي ولكن غالبًا ما يقلل من قيمته من قبل المجتمع ككل. ولذلك فإن التداخل بين الدين والهجرة معقد، فقد لا يشترك المهاجرون في الديانات التي ينتمون إليها فحسب، بل هم في كثير من الأحيان مجتمعات الشتات بفعل التهجير ليمثلوا أقليات موسومة بالنسبة لبقية المجتمع. وفي الوقت نفسه، يصبح الدين سمة هوية حتى في المجتمعات المهاجرة التي لا تشكل أقليات من الناحية الدينية. علاوة على ذلك، فهو مرتبط بأشكال تحديد الهوية التي ليست بالضرورة دينية، وهو ما يفسر الفجوة، على سبيل المثال، بين السوريين السنيين والشيعيين، على أن الأخيرين في الواقع يحتفظون باتصالات قليلة جدًا مع بعضهم البعض. على الرغم من وجود دين مشترك.

قد يجد المهاجرون أنفسهم في حالة من الانغماس اللغوي اللهجاتي والطقوسي الاجتماعي، فهم لا يعرفون استراتيجية أو خيارًا تعليميًا أكثر من واقع. هذا الانغماس ليس مؤقتًا، وليس جزئيًا أكثر دائمًا أو إجماليًا، وهذا دافع بسيط آخر هو الاستمرار في استخدام اللهجات في البيئة العائلية والودية، مما قد يؤدي إلى تجاوز الأساسيات. في الواقع، يتم بناء الجزء الأكبر من مكتسبات لغات المهاجرين من خلال الاتصال بالمواطنين الأصليين في مواقف متعددة للتواصل الاجتماعي، وتكوينها، عندما تكون بدلاً من ذلك، في لحظة عملية طويلة من تعلم اللغة المهيمنة، وبداية تعطيل للغة الأم للمهاجرين، إن الكفاءات اللغوية لا يتم تقييمها عندما تكون فردًا مندمجا ومستلطفا اجتماعيا، ولا يلزم أن يتم فرض تكوين لغوي لأن مستواها يعتبر كافيًا والحال هكذا.

إن مسألة عملية اكتساب اللغة واللهجة المحلية بعد فترة قصيرة أو طويلة من وجهة نظر نفسية، معرفية، تطلع إلى مزيد من التقدم العصبي، بالإضافة إلى وجهة نظر لغوية من خلال وصف حالات مختلفة من التواصل الاجتماعي الثقافي. لكن عملية تعلم اللغة أو اللهجة في البيئة الطبيعية تعتبر جيدة للغاية في معرفة الجوانب الاجتماعية والثقافية، وذلك بنفس الانغماس المتأثر بالتفاعلات اليومية في التعددية والتنوع في التبادلات الاجتماعية، في تأثير وتأثر رهيب بطبيعة هذه التغييرات الاجتماعية بناء هيكل اللغة واللهجة المتبادلة، إذ أضحت هاته التفاعلات تتميز بلحظات مميزة من خلال التدرب على اللغة أو اللهجة السائدة، لأن المهاجرون هم مدركون جيدا دور هذا الانغماس اللغوي والثقافي والديني في فهم الدور الذي تلعبه سياقات هذه التفاعلات الاجتماعية في الاندماج البيئي الاجتماعي.

يبدو أن التعايش الديني والاندماج وتحقيق التوافق، هو غاية في حد ذاته وعنوان على أن الاستقرار النفسي الاجتماعي اللذان يتأسسان عليه. غير أنه تعايش مفرغ من ثقافة المهاجر مما يجعله في نظره طقسا دينيا غير حي، لأنه فاقد للرمزية الثقافية، بقدر ما هو حافظ على الشكل وأتاح الممارسة الخالية من المضايقة والتشنيع، ومن هنا يمكن القول إن التدين والهجرة هما بين مفترق الإتاحة والإحلال، خفوت الرمزية الثقافية، إنه بناء ديني مؤسس على قيم ثقافية وجمالية وإنسانية محددة، وتمثل كما يلزم من شروط الاستمرارية والتأثير والحضور. إن المهاجر بالمجتمع المغربي قد تجاوز أحقيته في إتيان العبادات أو الإفصاح عن المعتقد، لأنه برأيه قد حسمت فيه المطارحات السياسية والقانونية، ومكّنته منها حقوقيا بقوة القانونية. إنه يفتقد الرمزية الثقافية التي لها محددات تجرّها الهجرة، لكنها

ممكنة التدارك حال التجمعات الدينية بالمهجر، ومفتقدة حال الهجرة الفردية. ومن تم " يتميز منهج غيرتز بأنه قد ركز على الاجتماعي إذ إنه جعل الظاهرة الدينية متفاعلة بطريقة وثيقة مع الواقع والتغيرات الاجتماعية. ويحاول أن يستفيد من معارف متشعبة تمكنه من الفهم، ولا يقطع كذلك صلته بتراث شارك فيه كثير من علماء الاجتماع المهتمين بالدين والسحر والطقوس، وبالذات فيبر دوركهايم ومالينوفسكي وفرويد."18

في هذا الصدد تصرح الأم الشيعية السورية م. ث 38 سنة، مستوى جامعي:" نحن لا نعاني في المغرب من تضييق على الممارسة الدينية أو الإفصاح عن المعتقد الديني. إننا بحمد الله تعالى ننعم بذلك وإلى أبعد حد ممكن، ولكن وحتى أقرّب لك الصورة وتكون واضحة لك أستاذ. أعطيك مثالا بالمغاربة المهاجرين بأوروبا، إنهم يؤدون فروضهم الدينية، لكن غير حاملة للبعد الثقافي الرمزي. وكمثال على ذلك إنهم يصومون ولكن ليست بنفس رمزية وثقافة الصوم بالمغرب، لذلك فالعديد منهم يفضل أن يقضي رمضان ببلده المغرب، وكذلك شعيرة نحر العيد لأنها تتم بالمجاز جوفاء من غير طقوس قبلية ولا بعدية، مما يضطر معه البعض إلى التخلي عنها، أو توكيل من يقوم بها نيابة عنه. أظنك فهمتني الآن أستاذ..." إنه الحديث عن الرمزية الثقافية للممارسات ونوابعها، والتي لا يمكن أن تكون بهذا النفس من الحمولة إلا حين تمارس في وسطها الأم، المتيح للعديد من الرمزيات الثقافية، التي تمحوها الهجرة. " وبالتالي، فإن الانتباه إلى "ما يهتم به الناس" يجعل من الممكن التمييز بين ثلاث أنماط من التدين المعاش، من منظور اجتماعي براغماتي، وله أيضًا ميزة تسهيل إلغاء التفرد عن الفعل المراد تصديقه. إن الإيمان دينياً هو "التمسك" بتجارب بناء الذات، والسمو الذاتي وصنع المشترك، مع الإشارة إلى تقليد ديني معين."19. إنها صعوبات لا تظهر إلا عندما يحقق المهاجر جزءا مهما من التعايش والاستقرار، على أن هذه الرغبات هي كامنة لدى أغلب المهاجرين، لكن لا يفصح عنها إلا من حقق استقرارا معيشيا متقدما، وهو ما لا ينفي وجودها لكنها مؤجلة أو لربما ليست لها أولوية الإعلان. هما يمكن " يمكننا التحدث مع كليفورد غيرتز عن الوساطة الرمزية للتأكيد على الشخصية العامة منذ البداية، ليس فقط للتعبير عن الرغبات الفردية، ولكن أيضًا عن تدوين الفعل الاجتماعي الذي يحدث فيه الفعل الفردي.

هاته الرموز هي كيانات ثقافية ولم تعد مجرد كيانات نفسية. علاوة على ذلك، تدخل هذه الرموز في أنظمة مفصلية ومنظمة والتي بموجبها يكون للرموز المأخوذة بمعزل معنى متبادل – سواء كانت إشارات مرور أو قواعد مهذبة أو أنظمة مؤسسية أكثر تعقيدًا واستقرارًا. يتحدث غيرتز بهذا المعنى عن "أنظمة الرموز المتفاعلة" لـ "النماذج التآزرية للمعنى."20

إن دراسة الدين والتدين عند غيرتز مستندة في الأصل على فكرة التأويل كأساس للفهم واستنباط المعاني والرموز، بالإضافة إلى ربطه المتقدم بالحياة الاجتماعية باعتباره عنصرا مهما من عناصر الثقافة، وليس مجرد غيبيات وأخلاقيات، إنه نسق ثقافي قائم بذاته، يعبر عن نظرة الفرد والجماعة وروحها وتصوراتها واتجاهاتها، بيد أن العديد من الباحثين وصناع القرار، غالبًا ما يتوقّفون عند رصدِ علاقة الهجرة بالتنمية وبالأمن وبالرفاه الاجتماعي وبالاندماج واللاندماج، أو بما يسائل السياسات العمومية في ضمان حقوق المواطنين المهاجرين في علاقتهم ببلدان المهجر، لكنهم يتغاضون عن سؤال الأسئلة، وهو علاقة الهجرة بالدين، وكيف تتشكل البناءات الدينية في مسارات حياة المهاجرين؟ وكيف يتم بناء حياة دينية — من طرف المهاجرين — وسط مجتمعات مختلفة معهم دينيًّا؟ وما هي التحديات التي تطرحها علاقة الدين بالاندماج واللاندماج؟ هذا البعد المتقدم في افتقاد الرمزية الثقافية للممارسة الدينية للمهاجر، قد لا ينتبه إليه الفاعل السياسي، والذي يبدو أن سقف طموحه وانتظارا ته هو تحقيق السلم والتعايش واحترام المعتقد للغيرية الدينية، وهو ذات السياق الذي يتحدث عنه السيد عبد الله بوسوف قائلا: "إن المغرب يتمتع بميزة استثنائية، وهي ملكية وصية المؤمنين، التي تضمن لجميع المواطنين السلام الروحي وحرية المعتقد على النحو المنصوص عليه في دستور 2011. وبفضل هذه المؤسسة "تجاوزت بلادنا قيم التعايش والتسامح لتصل إلى درجة التكافل والأخوة" أخوة الإيمان "التي تجمع كل الطوائف

الدينية، ولاسيما اليهود والمسلمون الذين يتمتعون بالترحاب. نفس حقوق المواطنة، لها نفس الواجبات والنصيب، بالإضافة إلى المبادئ أو القيم، المرابطين والمساحات الروحية". هذا الاندماج بين المجتمعات المختلفة محسوس أيضًا في المجتمع المغربي الذي تمكن من الجمع بين الممارسة الدينية والتراث الثقافي الشعبي، "خاصة خلال شهر رمضان الذي يجمع بين العظمة والجمال"، كما قال السيد بوسوف. مرحباً بدور الإمام في الاستقرار الديني والروحي في المغرب."21

إن علامة التوحد بين الانتماء الديني والاندماج وما يصاحب ذلك من إقحام الدين في الغرب إلى مساحة خاصة تترجم إلى الثقة على نطاق واسع في الدين، والذي يُنظر إليه غالبًا على أنه وسيلة لتقوية الولاء المدني. على الرغم من أن المؤسسات الدينية الكبرى (عادة أشكال مختلفة من المسيحية واليهودية) قد تكيفت مع هذه الأنماط إلى حد ما، إلا أن هذا ليس هو الحال في الأشكال الدينية الأخرى. علاوة على ذلك، فإن الثقل التاريخي والثقافي للإسلام، والذي لا يزال دين الأغلبية السائد بالمجتمع المغربي، أثبت أنه مركزي على الرغم من علامة العلمنة، كما يتضح من المناقشات حول الهوية للمهاجرين من سوريا وجنوب الصحراء. وهكذا، فإن تدخل الدولة في الشؤون الدينية يميل إلى تفضيل الأديان التي تتميز باستيطانها التاريخي في نفس الوقت الذي يستبعد فيه أو لا يثق في الأديان البعيدة كل البعد عن هذا المعيار. وبعبارة أخرى، فإن مبادرات الدولة فيما يتعلق بالقضايا الدينية تنطوي على تعريف ضمني لما هو صحيح دينيا. وهذا بدوره يترجم إلى أحكام قانونية ولوائح وقوانين وسياسات عامة تكون أو قد تكون غير مواتية لبعض الأقليات الدينية خاصة غير السماوية أو اللادينية.

من الأمور التي تم التركيز عليها أيضًا فيما يرتبط بالتعددية هو تأثير اللغة أو لغة الدين، ومن الأشخاص الذين عملوا في مجال اللغة وفي مجال التأويل أشلاير ماخر والذي كان متكلمًا. هؤلاء فتحوا مجالًا جديدًا فيما يرتبط بالفكر التعددي المرتبط بالتأويل في مجال لغة الدين للتساؤل أن هذه اللغة هل هي لغة مثل باقي اللغات أو لغة إشارية ورمزية؟ فكثيرون اعتبروا أن القضايا الدينية هي قضايا إشارية ورمزية وليست قضايا حقيقية مثل القضايا الفيزيائية أو ما يرتبط بالتجارب والحس فالأمر يختلف."22.

إن الرمزية الثقافية للغة المهاجر، تنضاف إلى الَضمور التي يطال الحديث بها، خاصة اللهجات منه بما تعززه من هوية، ولربما استهجان حال التلاقح مع لغة بلدان الاستقبال بضرورة التواصل، وهو ما عبر عنه (ج.ر مهاجر ليبيري، 27 سنة، بروتستانتي الديانة، يعمل في الحدادة بلغة عربية متقطعة، تسمع معها تهدّجات أنفاسه): "شوف خويا حنا ما بقيناش كنهضرو باللغة ديالنا، حيث لمغاربة ما كيعرفوهاش، واخا كنمشي فالأحد لكنيسة ما كاينش شي حاجات كنديروها فليبيريا"، إنه يفتقد نبرات وصوتيات اللهجة الكريولية الليبيرية، وهو ما أشار إلى جزء منه غيريتز في كتاباته المعرفية حول الأنثروبولوجيا التفسيرية، لكن كتابه عن كيفية كتابة علماء الأنثروبولوجيا للنصوص وإنتاجها عزز ارتباطه بالمنعطف اللغوي. إنه لا ينفصل عن فهم المجتمعات والثقافات، وفي الوقت نفسه لا شك في أن أنظمة المعتقدات والممارسات التي نسميها ديانات تحتل مكانة مركزية في تفكيره الأنثروبولوجي. يتجسد النموذج السيميائي أو الرمزي للدين الأنثروبولوجي بشكل خاص. كمثال على ذلك، يستعرض السوسيولوجي الايرلندي "Entzinger"تعليم لغة الأم في بلد الهجرة للمهاجرين، وحق إنشاء الجمعيات والنوادي والتجمعات. ورغم أن هذه المقاربة تبقى مهمة في ضمان الحقوق الدينية واللغوية للمهاجرين، لكنها تمنع الاندماج السريع لهؤلاء المهاجرين، وتُعيق التفاهم العلائقي، لكنه يبقى نموذجًا مغريًا للتعايش.

"بشكل عام، على مستوى التمثيلات الاجتماعية والمجتمع ككل، نلاحظ أن التطلع إلى عزل ذاتي للأغلبية يتعزز من خلال التصور الاجتماعي الحامل للأمة باعتبارها عائلة كبيرة، من المفترض أن تبدو متشابهة."23. إن ما خلفه غيرتز من معطيات إثنوغرافية، من خلال رحلاته العلمية الميدانية لعديد من القرى المغربية، وهي المعتبرة لدى علماء الأنثروبولوجيا، ولعل ما يهمنا فيها

بالذات هو تأكيده على كون الحياة الاجتماعية للإنسان هي مسألة نشاط ذي معنى في ارتباطه بالثقافة أنثروبولوجيا. يشير سروش إلى أنّ بحث قضية التعددية من خارج الدين يكمن في النظر إلى الأديان من زاوية عقلانية، وليس من موقع تملكها للحقيقة، والذي يمثله الناظر من داخل الدين. وعليه، فالحديث عن التعددية يتعلق بنوع من الرجوع إلى الدين بمعارف خارجية تخضع لتمحيص وتحقيق وفق منظور بلورالي يبدأ من كثرة الأدلة، وفي حالة تكافئها يحتكم لكثرة العلل في الترجيح، وأخيراً يلجأ إلى الكثرة المؤولة المستوحاة من درس التأويل والفهم الهرمنيوطيقي."24. إن تعددية الرمزية الثقافية للهجرة والتدين هي على النقيض من تلك التي ترتبط بالتعددية الدينية، لأن في الأولى غنى وتراكما، ولكن الثانية قلّما تخلو من صراعات، وافتقاد المهاجر لتلك الرمزية هو افتقاد للهوية حال ممارسته للطقوس والعبادات، وهذا النحو هو ما كان قد نحاه هيك، حين" دعا إلى النحو بالمنحى الكوبرنيكي في مجال اللاهوت كوسيلة للنأي بأنفسنا عن الإشكالات التي تثيرها معطيات التعددية الدينية في العالم، حيث تقدر فرضية التعددية أن تستوعب الغنى الماثل في واقع متعدد المناهل، ومعها لا يبقى أي دين مركزاً حصريا كبديل أوحد للخلاص والانعتاقية، بل تصبح أديان الكون برمتها استجابات متعددة ومتنوعة لحقيقة لاهوتية سمحة واحدة."25

إن العمليات البيئية والتطورية للمهاجر يمكن أن تحدث على نطاقات زمنية ومكانية مماثلة، وبالتالي قد تتفاعل بشكل متكرر. على الرغم من أن مفاهيم مثل المجتمع المهيمن الغير المتطور تدمج ديناميات متعددة الأنواع، فإن المقابلات عادة ما أخذت في الاعتبار كيفية تأثير التطور الاندماجي بأبعاده الثقافية الاجتماعية والدينية على نوع محوري واحد. ومن ثم، فإن فهمهم لهذا التطور بالمجتمع المغربي متعددة الأنواع لا يزال متعثرا، ويسلط الضوء على الآليات المجتمعية والتطورية الرئيسية وتفاعلاتها لتسهيل اندماج واستبقاء هوياتي، بالاستعانة بفهم أوسع للمحيط.

على سبيل الختم

إذا كان ل "كليفورد غيرتز" قد استند للنهج التفسيري الرمزي ليعيد توجيه الأنثروبولوجيا بعيدا عن الافتراضات المسبقة للدين والتدين كموضوع سوسيولوجي، فالدين بذلك بقي ثابتا في العديد من ممارساته وطقوسه لكن تحولات طالت رمزيته الثقافية، إذ أنها لم تصمد أمام ذلك خاصة عند تلازم كل من التدين والهجرة. وباعتبار كليهما نسقا ثقافيا مؤسسا على الرموز والمعاني ومفاهيم أخرى مساعدة على فهمهما. وهو ما أحالنا على ذلك التأرجح بين اليسر والصعوبة التي يجدها المهاجر في الاعتقاد والممارسة حال الاختلاف العقدي أو المذهبي، وعلى أن النوع الاجتماعي متغير فاعل في تدين المهاجرين وتوافقهم في ظل تعدد الروافد الثقافية والتنوع الإثني، والديني، والمذهبي، واللغوي، وبصعوبات منها ما هو ما معلن ومنها ما هو غير معلن. إن الشكل الرمزي، ربما ليس هو الشكل الوحيد الموجود في حقل القداسة الدينية للمهاجر. إذ يمكن أن توجد إلى جانبه أشكال من الوجوه المطمئنة في الحالة المغربية، إذ لم يكن فيها موحداً ومتماثلا، فأن أهمية تحليل غيرتز تكمن في إبرازه كون الثقافة الإسلامية والهجرة قائمة على التحويل والاحتواء ولربما الامتلاك، إلا أن التغيرات التي حصلت بفعل الاتصال بعملية العلمنة والحداثة، باعتبارهما شكلا جديدا من الأشكال الرمزية وشبكة من التفسير التي تعطي معنى، ملبية بذلك الحاجة إلى فهم وتفسير الحقائق الجديدة. إن التحولات الكبرى في العلاقات بين الثقافات التي ميزت المجتمع المغربي، فضلاً عن التعديلات العميقة في الوضع العلمي للمعرفة، أجبرت المهاجرين على نوع من التكيف الديني والهوياتي.

الهوامش:

1- Cliford Greetz, Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, The Terry lectures, v.37 (New Haven, Conn: Yale University Press,1968)

2- Cf. HAGAN, Jacqueline; EBAUGH, Helen Rose, "Calling upon the sacred: migrants' use of religion in the migration process", International Migration Review, vol. 27, n° 144, Winter 2003, pp. 1145-1162

3- Cf. WARNER, R. Stephen, "Religion and new (past 1965) immigrants: some principles drawn from field research", American Studies, vol. 41, n° 2-3, Summer-Fall 2000, pp. 267-286

4- Clifford Geertz, The interpretation of cultures: Selected Essays (New York: Basic Books Inc. Publishers, 1973, pp.87-88.

5حوار إميليا كابتن مع أوليفيروا، ترجمة محمد عثمان، مجلة الفيصل، عدد 501- 502، يوليو، أغسطس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص، 112.

6- Mahamet Timéra, La religion en partage, la « couleur » et l'origine comme frontière, Cahiers d'Études africaines Revue soutenue par l'Institut des Sciences Humaines et Sociales du CNRS. Les migrants sénégalais au Maroc p. 145-167

7- Cliford Greetz, Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, The Terry lectures, v.37 (New Haven, Conn: Yale University Press,1968), p3.

8 علي حيدر إبراهيم، الأسس الاجتماعية للظاهرة الديني: ملاحظات في علم اجتماع الدين، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، القاهرة،1989، ص 57

9 علي حيدر إبراهيم، المرجع السابق.

10 كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،2009، ص 222/221

11 بودون وبوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص 319-320.

12- IGNATIEV, Noel, How the Irish became white, New York: Routledge Publisher, 1996, 272 p

13 فلاح جاب جاسم الغرابي، الدين وآليات الضبط الاجتماعي، مجلة أوروك، العدد الثاني، المجلد العاشر، ص 2017.452.

14راجع بولي، ماركو، الدين والثقافة في مجتمع متعدد الأعراق.؛ ترينتين، جوزيبي، ندوة حول "الدين والتعددية الثقافية: التوتر أم إمكانية الحوار؟»، ستودياباتافينا، المجلد. 48، العدد 1، 2001، ص. 19-106

15 - Cf. ALLIEVI, Stefano, "Islam and other religions: which dialogue in Europe?", Study Emigration, vol. 39, n° 147, September 2002, pp. 627-642

16- L. Mathieu, Comment lutter? Sociologie et mouvements sociaux, Paris, Textuel, 2004, p. 141.

17 كليفورد غيرتز، الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة- التطور في المغرب وإندونيسيا-، ترجمة: أبوبكر أحمد باقادر، دار المنتخب العربي، بيروت، ط 1، 1993، ص 17.

18علي حيدر إبراهيم، مرجع سابق.

19- A.-S. Lamine, Identités religieuses et monde commun. Penser les idéaux, les attachements et la participation sociale avec John Dewey, Paris, L'Harmattan, 2018; «Religion as Experience. Dialogue with John Dewey », Social Compass, 65/5, 2018, p. 667-683.

20- Description et interprétation chez Clifford Geertz. La thick description chez Clifford Geertz Paul Costey, traces revue de sciences humaines, N4, 2003p. 103-108

21- L'émission de débat « l'invité d'Al Oula » (ضيف الأولى) a reçu pour son premier épisode ramadanes que, mardi 29 mai 2018, l'écrivain et historien M. Abdellah Boussouf. Une heure durant, l'invité a parlé de ses livres et de son expérience en tant que spécialiste de l'Islam, notamment en Europe, mettant en avant la singularité du modèle de religiosité marocain.

22 السيد مصطفى مصطفوي، التعددية الدينية في التداول الثقافي والفلسفي الراهن، مقال بمجلة المعارف الحكمية الإلكترونية، معهد الدراسات الدينية والفلسفية، بيروت، لبنان.

23- N. Lapierre, Faut-il se ressembler pour s'assembler ? Paris, Seuil, 2020.

24 عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص77

25 وجيه قانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك (المرتكزات المعرفية واللاهوتية)، المركز الثقافي العربي (المغرب)، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، ط1،2007، ص 11